لولا أناغنوستاكى

المدينـة

قدمت «المدينة» مع مسـرحيتى «لقاء فى الليل» و «الاسـتعراض» أول مرة على «مسرح الفن» بأثينا فى مـايو ١٩٦٥ من إخراج كارولوس كون ، وديكور ماريا روسو : اشترك بالتمثـيل : مايا لامبيروبولو ويورغو لازانيس ونيكاتار فوتيريس .

وفى يناير ١٩٦٦ قدمها التليفزيون القبرصى من إخراج: جافرياليديس .

وفى أبريل ١٩٦٧ قدمـتها فرقـة «داى أوبردى» الإيطالية فى بادوا من ترجمة : فيليبو ماريا بونتانى وإخراج : ن. تسينجاكو .

وفى يوليو ١٩٦٩ قـدمتها هيئـة الإذاعة البريطانية من تـرجمة چورچ إنجيل ، ومارتن إسلن .

الشخصيات

كـيــمـون .
اليـسافـيت .
المصـــــور .

(غرفة . الوقت مساء والظلمة تزحف سريعاً . في هذه اللحظة يضيء الغرفة نور قليل وافد من النافذة . يجلس كيمون ساكتا في العتمة غارقا في مقعد عميق . وهو رجل في الثلاثين من عمره ، طويل ، نحيف ، وسيم. برهة صمت. تعود اليسافيت من الخارج . تدير المفتاح في الباب وتفتحه . تخطو داخله دون أن تتنبه إلى وجود كيمون . تضيء مصباحاً ذا حامل مسند إلى الأرض - وفجأة ......)

كيمون : اليسافيت !

اليسافيت : (جزعة) آه! (تضيء المصباح الثاني) أنت تجلس هنا ؟

كيمون : أجل . وأين أجلس غير هنا ؟

اليسافيت : تصورت أنك ستكون في غرفة النوم .

كيمون : لم أدخل غرفة النوم قط .

اليسافيت : كنت تجلس هنا طول الوقت ؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : لماذا لم تكلمني ما إن دخلت ؟ أخفتني . .

كيمون : معذرة . لم أكن أقصد .

اليسافيت : هذا الشغف بأن تعلن عن وجودك فجأة ، شيء لايطاق.

كيمون : قلت لك ، لم أكن أقصد .

اليسافيت : شيء لايطاق . لا أحتمله . أمس ، دخلت المطبخ ووقفت خلفي دون أن أتنبه إليك . كاد يغمى على عندما استدرت فرأيتك فجأة أمامي .

كيمون : أعتقد أنك سمعتني . ما الذي يجعلني أدخل إلى المطبخ خلسة ؟

اليسافيت : وما أدرانى ؟
كيمون : ليس ثمة ما يحملنى على أن أتسلل إلى المطبخ .
اليسافيت : حذاؤك لا يأتى صوتا .
كيمون : ألصقت به نعلا من المطاط . قلت لى إن الضوضاء يزعجك .
اليسافيت : الضوضاء .. الضوضاء .. أى ضوضاء يمكن أن يصدر عن رجل يمشى ؟ كنت أتكلم عن الضوضاء الشديدة .. عن الضوضاء التى تصدر عن طائرة .
كيمون : من هنا لا تمر طائرات .
اليسافيت : عن السيارات ، الموتوسيكلات ، الراديوهات .
كيمون : أنت التى اخترت هذه الشقة وسط البلد . لاحق لك فى الشكوى ، إذن .
اليسافيت : لا أشكو . أريد أن أشعر بالناس من حولى . على الأقل من حولى . (تأتى إلى الشباك وتجذب الستار) يروق لى المقام هنا . هذا الميدان الذى تتوسطة النافورة ، دار السينما ، المحلات ذات الواجهات المضيئة – الكنيسة . وددت أن أقيم هنا إلى الأبد . فى هذا البيت ، فى هذه المدينة . مللت السفر المتواصل . مللت السكك الحديدية ، والفنادق ، والحقائب .
كيمون : الأفضل ألا نعود إلى هذا الموضوع . أرجوك .
اليسافيت : أجل ، الأفضل ألا نعود إليه . (برهة صمت) ماذا كنت تفعل طوال بعد الظهر ؟

كيمون : تصفحت كتبا ، ومجلات . .

اليسافيت : تعرف جيدا أنك لا يجب أن تقرأ . عيناك فى حالة سيئة .

كيمون : عيناى ليس بهما سوء على الإطلاق . إنهما على خير ما يرام .

اليسافيت : لو مضيت هكذا ستصاب بالعمى .

كيمون : أعجب كيف دخلت عقلك هذه الفكرة .

اليسافيت : الشمس تضايقك . نسمات الهواء تضايقك . يجدر أن نستدعى طبيبا . غدا ، سأحضر طبيبا يفحصك .

كيمون : إذا فعلت ذلك ، سأغادر البيت .

اليسافيت : من فضلك ، لماذا لاتريد أن تسمع كلامى؟ على الأقل، إرضاء لى ، توقف عن القراءة قليلا . لماذا لا تخرج فى نزهة ؟

كيمون : الجو لا يطاق . الريح تعصف والمطر ينهمر .

اليسافيت : كل يوم ، تتعلل بالأعذار ذاتها كى تبقى فى البيت .

كيمون : كل يوم ، الريح تعصف ، والمطر ينهمر . هل هذا كذب ؟

اليسافيت : مضى اليوم شهر على مجيئنا إلى هذه المدينة . ومامن مرة دفعك الفضول أن تخرج قليلاً وتتنزه. فى النهاية ، إنها مدينتى ! هنا كبرت . لو كنت تهتم بى أدنى اهتمام لحاولت أن تتعرف عليها .

كـيــمـون : ولماذا أتعرف عليها ؟ المدن كلهـا متشابهة . وهذه المدينة أسوأ المدن جميعا . لا تحتجى . قلت لى ذلك بنفسك. قلت لى أن السماء تمطر أغلب الأوقات وتمتلىء الشوارع بالطين . ثم تطلع الشمس ، وتهب الريح فتذرو التراب الذى يعمى الـعيون ، ويصـيبك بالسعـال ، تلصق بك ذراته . تحسين باللزوجة على يديك ، وعلى شـفتيك . تمضغين ترابا ، أليس هذا ما قلته ؟

اليـسافـيت : ليس هذا كل ما قلته .

كـيــمـون : هذا ما أذكره أنا . فلنغيـر موضوع النقاش ، الآن قولى لى ماذا فعلت أنت طوال النهار ؟

اليـسافـيت : ماذا كنت تريدنى أنْ أفعل . خرجت – وتمشيت . . .

كـيــمـون : تحت المطر ؟

اليـسافـيت : توقف المطر منذ وقت طويل .

كـيــمـون : يجدر أن تتقى الرطوبة .

اليـسافـيت : (تنتابها قشعريرة) ألبس ملابـس ثقيلة . دافئـة . ثم أننى أحب التجول ، أيا كان الجو . ألـم تلحظ ذلك؟

كـيــمـون : أجل ، لاحظت ذلك الآن وأنت تشيرين إليه .

(برهة صمت قصيرة)

اليـسافـيت : (بهدوء) أتساءل إن كنت قد اهتممت بأمر من أمورى قط . إنك لا تعـيرينى أى التـفات . إذا حـدث ذات يوم ولـم أعد إلى البيت فلن يشـغلك ذلك أبدا . ومع ذلك أعود دائما فى الثـامنة . كم أبلغ من العمـر ؟ إنك لا تعرف حتى سنى . لم تـسألنى عنه قط .

كيمون : وددت أن تحكى لى كيف أمضيت وقتك .

اليسافيت : قلت لك . تجولت . صعدت حتى ميدان المحافظة . هل سمعت عنه ؟

كيمون : كلا . لم يسبق لك أن كلمتنى عن هذا الميدان .

اليسافيت : يسمونه باسمه هذا لأن مقر المحافظة كان هناك ، أما الآن فتوجد به دار البلدية . مبنى ضيق طويل رمادى اللون ذو نوافذ خضراء صغيرة مصفوفة . وأمامه ساحة ، يذهب الأولاد إليها ويلعبون . سنوات وسنوات يلعب الأولاد هناك . يقولون «هيا نذهب ونلعب عند المحافظة» إلا أننى عندما وصلت كانت ظلمة المساء قد زحفت على المكان .

كيمون : ومع ذلك فقد بدأ النهار يطول .

اليسافيت : لا يعجبنى أن أحوم وحيدة حول أماكن يلعب فيها أولاد عندما يبدأ الليل يرخى سدوله . هل تستطيع أن تفهم ذلك ؟ صيحاتهم فى الظلام تسحق قلبى. أسترجع أيام طفولتى . لا أريد أن أستعيد ذكريات .

كيمون : ولا أنا . كنت تتحدثين عن الميدان . . .

اليسافيت : أجل ، الميدان . إلى اليمين يوجد طريق صاعد . لم أطرقه منذ سنوات عديدة . لم يتغير كثيرا . عند الناصية دكان حلاق . . «البعث» هذا اسمه . إلى جواره ، ما أن تستدير ، عمارة ذات لون وردى .

كيمون : قلت لونا ورديا ؟ لا أعتقد أن ثمة بيوتا بهذا اللون ، هنا .

اليسافيت : وكيف لك أن تعرف ؟ أنك لم تخرج قط . تجلس طوال النهار بين الحيطان مغلقا عليك .

كيمون : (يشير من النافذة) وهذا المكان هناك ؟

اليسافيت : إنه الميدان الرئيسي . هذا كل ما في الأمر .

كيمون : كي نأتي من الميناء إلى هنا اخترقنا المدينة كلها تقريبا . والعمائر التي لقيناها كانت رصاصية اللون أو سوداء .

اليسافيت : بدت كذلك بسبب الضباب . هناك عمائر ملونة ، صفراء وزرقاء وبيضاء ووردية . (برهة صمت . تستدير إلى كيمون) أتعرف ، في تلك العمارة الوردية أقام رجل كان يحبني آنذاك . . (برهة صمت) كنت أذهب إليه بعد ظهر كل يوم وألتقي به. كنت أقف مليا أمام دكان الحلاق ، وأنتظر أمه تنصرف . كانت أمه تخرج بعد الظهر في ذات الساعة كل يوم . كنت أراها تنصرف . كانت تلبس على الدوام معطفا أسود وقبعة خضراء . هل تسمعني ؟

كيمون : أسمعك .

اليسافيت : كنت أصعد الدرجات وأجتهد ألا أحدث جلبة حتى لا يسمعني سائر السكان . لكن كان هناك من يفطن إليّ على الدوام . رجل أرمني يفتح بابه قليلا وبنظراته يتابعني . كان صديقي يدخلني شقته بسرعة . يقدم لي ملعقة من مربى السفرجل تصنعها جدته . كانت تضع فيها قرنفلا ولوزا مما يجعل طعمها لذيذاً . (برهة صمت)

كنا نجلس على أريكة عريضة مغطاة بإزار ذهبي ذي حواشي بنية اللون . كان يريد أن يأخذني بين ذراعيه ، لكنني لم أكن أتركه يفعل ذلك . كنت ألهو بحواشي الأريكة وأعقدها ضفائر . كان يلومني قائلا «أنت لا تحبينني» ، «أنا أنتظرك . أحصي الساعات ، والدقائق . . .» هل تسمعني؟

كيمون : أجل .

اليسافيت : يخيل إلى أنك ولاحتى تكترث بأن تسمعني (برهة صمت) عندما كانت الدنيا تظلم تماماً كنا نصعد إلى السطح . كان يشير إلى بعيد ويريني الأحياء القديمة والقلاع التى تحوطها . . هل رأيت هذه الحصون ؟

كيمون : إنها لا تبين من النافذة .

اليسافيت : كلا ، إنها لا تبين من النافذة ، بل من مكان عال ، عال جدا ، تبين فحسب ، تلك القلاع كانت فيما مضى حصون المدينة ، وأصبحت الآن سجونا .

كيمون : سجون ؟

اليسافيت : أجل ، سجون رطبة مظلمة .

كيمون : ماذا كنتما تفعلان على السطح ؟

اليسافيت : كنا ننظر إلى ما حولنا . يشير بأصبعة إلى نقطة ما ، ويقول لى «هناك» «هناك ، بعيدا ، عند طلوع الفجر ، يعدمون المحكوم عليهم بالموت رميا بالرصاص» لم أكن أفهم لماذا يصر على أن يقول لى ذلك كل ليلة ، مصوبا

أصبعه نحو الشمال . بعد ذلك تفرقت بيننا السبل وراح كل منا لحال سبيله . ثم إذا بى اقرأ ذات اسمه فى الجريدة. كان بدوره ضمن المحكوم عليهم بالموت ، وأعدم هو أيضا ذات يوم فى الفجر . أليس ذلك غريبا ؟

كيمون : ما هذا الذى تعتبرينه غريبا ؟

اليسافيت : إنك لا تتابعنى . طوال هذا الوقت أتحدث إليك ، وأنت لا تتابعنى . ما من أحد اكترث بى اكتراثا حقيقيا.

كيمون : اسمعى . . ما الذى تبغينه من تجوالك كل يوم فى الشوارع ؟ هذه النزهات تحطم أعصابك .

اليسافيت : ما من أحد اكترث بى اكتراثا حقيقيا . هل تريد أن أخبرك بما حدث لى عندما كنت صغيرة ؟ فى الثامنة من عمرى ؟

كيمون : من فضلك اهدئى . لست بحاجة أن تخبرينى بشىء . هذا فضلا عن أن وقت تناولنا الطعام قد أزف .

اليسافيت : (ماضية) عند عودتى من المدرسة كنت أجد غرفتى مرتبكة. سريرى غير مرتب كما تركته فى الصباح وأنا خارجه . ما من أحد ، ما من أحد على الإطلاق ، كان يعنى بترتيبه لى . كنت أخشى الرقاد والنوم بين الأغطية الجعدة . لأننى عثرت ذات مرة فى ثناياها على صرصارين ميتين دسهما أخى لأخافتى .

كيمون : وددت أن آكل شيئا .

اليسافيت : (يتزايد توترها) وعندما كنت فى العاشرة ، كان الجميع يخرجون بالليل ، ويتركوننى وحيدة . وفى البيت المقابل كان يسكن

بعض النسوة العجائز . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى ، فمضيت أرقبهن . أراقب العجائز . كانت هذه تسليتى .

كيمون : ماذا تحملين فى اللفافات ؟

اليسافيت : كانت إحداهن ذات بشرة صفراء وشعر أبيض طويل . مثل ساحرة تماماً . لم تكن تبتعد عن الشباك لحظة واحدة ، حتى خيل لى أنها مرسومة على الزجاج . ثم كانت تجىء عجوز أخرى وتوقد القنديل .

كيمون : كفى . . .

اليسافيت : وكان عندهم دولاب ذو مرآة . وكان هذا القنديل يلقى ظلالا فى المرآة، وظلالا فى كل مكان، ظلالا ضخمة، وكنت أشعر بالخوف . . .

كيمون : كفى ، كفى ، إذن ! (برهة صمت) .

اليسافيت : كنت تقول إنك جوعان . . .

كيمون : الساعة الثامنة والنصف .

اليسافيت : فى هذه اللفافة دجاجة باردة .

كيمون : هم م م . . .

اليسافيت : وجمبرى بالمايونيز وسلطة سبرجس .

كيمون : سبرجس ؟

اليسافيت : وفى اللفافة الأخرى زجاجة شمبانيا .

كيمون : قلت شمبانيا ؟ وسبرجس ؟ ولماذا كل هذه الحفاوة ؟! . . اليسافيت ؟ (يخطو نحوها ويواجهها) تخفين عنى شيئاً !

اليسافيت : سأذهب لأضع الزهور فى الماء .

كيمون : كيف ؟ اشتريت زهورا ؟

اليسافيت : هل تروق لك ؟

كيمون : رائحتها طيبة .

اليسافيت : ورد . أهداه لى المصور .

كيمون : المصور ؟

اليسافيت : بالطبع ، أنت تعرفه ، إنه ذلك الذى يمتلك دكان التصوير تحت ، عند مدخل العمارة . أنه يسألنى دائما عنك . ويقلقه أنه لا يراك أبدا . إنه على غاية من الأدب ، ويقولون إنه يلتقط صورا ممتازة .

كيمون : بهذه السرعة أمكنك أن . . . .

اليسافيت : يقولون إنه يستخدم خدعا مبتكرة فيحصل على نتائج باهرة .

كيمون : حماسك المفاجىء هذا . . .

اليسافيت : إذا أردت فلننزل ذات يوم إليه يلتقط لنا صورة .

كيمون : اليسافيت ، ثمة أمر تخفينه عنى . . (برهة صمت)

اليسافيت : (بهدوء) دعوته الليلة لتناول العشاء معنا .

كيمون : آه ، كلا ، كلا ، كلا ! أبدا هذا . (ينم صوته عن اليأس والأسى) .

اليسافيت : (بذات هدوئها) سيحضر بين لحظة وأخرى .

كيمون : لن نعيد الكرة . لا أحتمل أكثر من ذلك . الصيدلى ليلة أمس .

اليسافيت : وما ضيرك من ذلك ؟ ماذا فعل بك الصيدلى .

كيمون : مضيت ، تقولين إنه يذكرك بصديقك ، تعرفين من أقصد ، قاطن العمارة الوردية .

اليسافيت : أجل .. شيء ما في صوته .. وفي نظراته ...

كيمون : وليلة أول أمس صاحب المكتبة .. سأجن !

اليسافيت : آه ، أجل ، اندونى . مكتبته أكبر مكتبة هنا .

كيمون : أندونى ؟ قال لنا أن اسمه يورغو ..

اليسافيت : كلا ، كلا ، كان اسمه اندونى . اذكر جيدا . كنا لا نفترق نحن الثلاثة آنذاك . أنا وصديقى واندونى . تذكرته ما أن رأيته . سوف كنت ترى أنه سيتذكرنى بدوره ، لكنك لم تترك له الفرصة . تصرفت ببشاعة تلك الليلة .

كيمون : (بعد برهة صمت) اليسافيت . تأكدى أن .. أن .. ما اسمه ؟ اندونى هذا

اليسافيت : (شاردة) أجل . أجل . اندونى . كان هذا اسمه . على الأقل كنا نعرفه بهذا الاسم آنذاك .

كيمون : أمس ، كانت أول مرة ترينه فيها ..

اليسافيت : اسمع . سيأتى المصور بين لحظة وأخرى .

كيمون : أقول لك ماعدت أحتمل .

اليسافيت : هذه المرة لن تكون مثل السابقة .

كيمون : لا أصدقك !

اليسافيت : سأفعل كل ماباستطاعتى من أجل ..

كيمون : تماما ، ستفعلين ما باستطاعتك ..

اليسافيت : أنبِّه عليك . . أريدك أن تتصرف معه بلباقة .

كيمون : مستحيل !

اليسافيت : (دامعة العينين) أستحلفك ، للمرة الأخيرة .

كيمون : أصبح هذا الأمر عذابا ! صارت حياتى عذابا !

اليسافيت : للمرة الأخيرة . .

كيمون : حسنا ، افتحى الباب .

اليسافيت : لكننى لم أسمع جرسا .

كيمون : قلت لك افتحى . إنه بالخارج . متى قلت له أن يأتى؟

اليسافيت : حوالى الثامنة والنصف .

كيمون : إنه بالخارج . يقف منتظرا أن تأتى الساعة الثامنة والنصف كى يدق الجرس . أعرف جيدا هذا الصنف من الناس .

اليسافيت : تسىء الكلام عن رجل لم تعرفه بعد .

كيمون : أعرفه جيدا . انقيم معا فى ذات البيت أم لا نقيم ؟

اليسافيت : لايفيد ذلك شيئا . إنك لم تره قط . هذا فضلا عن أننا لا نقيم فى ذات البيت . كل ما هناك أن دكانه عند مدخل العمارة .

كيمون : أقول لك ، أعرفه جيدا . أنه يقف الآن هناك وراء الباب يتسمع كل ما نقوله عنه .

اليسافيت : أوه ، يا إلهى ! بدأت تنفعل من جديد دون سبب .

كيمون : الأجدر به أن يمضى منصرفا ، لكنه لن ينصرف . سينتظر حتى تأتى الساعة المحددة للزيارة . إنه عديم الحياء .

اليسافيت : كل مرة يجيء رجل هنا يتبدل حالك وتثور .
كيمون : سئمت تكرار الأمر ذاته كل مرة .
اليسافيت : ربما كان الذنب ذنب ذلك الداء اللعين الذى أصاب عينيك .
كيمون : عيناى سليمتان لاعيب فيهما . إننى أرى حتى فى الظلام أيضاً .
اليسافيت : (ملاطفة) أجل ، هذا هو الأمر ، أفهم جيدا الرعب الذى ينتابك .
كيمون : أى رعب هذا ؟ عن أى شىء تتحدثين ؟
اليسافيت : حبيبى ، تخاف أن . .
كيمون : أخاف أن . .
اليسافيت : لا أجسر على القول . أنه لأمر فظيع . .
كيمون : قولى إذن ! قولى !
اليسافيت : تخاف إنك ذات يوم ستريد أن تضىء النور . .
كيمون : حسنا ؟
اليسافيت : بينما سيكون النور مضاء . (صمت) .
كيمون : اليسافيت ؟
اليسافيت : أجل ، يا حبيبى ؟
كيمون : لماذا تصرين على هذه المهزلة ؟
اليسافيت : حبيبى ، أية مهزلة ؟
كيمون : عيناى (يدق الجرس) ليس بهما شىء على الإطلاق .
اليسافيت : الجرس ، يا حبيبى .

كيمون : لم أشعر يوما أنني أحسن حالا مما أنا عليه الآن .

اليسافيت : الأفضل أن تفتح له أنت . سيكون ذلك أكثر تشجيعا له .

كيمون : أنبه عليك مشددا أن تتركيني وشأني .

اليسافيت : (لاهثة) أرجوك ، أرجوك افتح له . ها هو يدق الباب من جديد . ها هو (يدق الجرس) كف عن تعذيبي . . (يتبادلان النظرات . ثم تخفض اليسافيت صوتها وتقول هامسة) إنني ذاهبة لأسقي الزهر . (يبقى كيمون وحيدا . يقف مترددا بضع ثوان . ثم يذهب ويفتح الباب . يدخل المصور) .

المصور : مساء الخير . عسى ألا أكون قد أخطأت الشقة ؟

كيمون : سيادتك المصور .

المصور : أجل .

كيمون : صاحب محل التصوير عند مدخل العمارة ؟

المصور : أجل ، عند مدخل العمارة .

كيمون : إذن ، تفضل . كنا في انتظارك .

المصور : أرجو ، ألا أسبب لكما مضايقة .

كيمون : كلا ، على الإطلاق . عندنا ضيوف على الدوام . اليسافيت وأنا نحب أن نستقبل الناس في بيتنا . اليسافيت ! ستحضر بعد لحظة. أعتقد أنها ذهبت تغير ملابسها . (يخفض صوته فجأة وقد دبت فيه المعاناة) هل أنت مصور حقا ؟ .

المصور : بالطبع !

كيمون : ألست طبيبا ؟
المصور : طبيب ؟ كيف خطرت ببالك هذه الفكرة ؟
كيمون : هكذا . الأطباء يروقون لى . هم قوم ظرفاء بسحنهم الجادة ، وستراتهم البيضاء الطويلة . كنت أحسدهم دائما . إذن ، لست ، فلنقل ، طبيبا باطنيا .
المصور : كلا ، بالطبع .
كيمون : طبيبا نفسيا ؟
المصور : لكننى أؤكد لك . . .
كيمون : طبيب عيون ؟ قل لى ، أرجوك . طبيب عيون ؟
المصور : لكن لماذا تصر على ذلك ؟
كيمون : غير ذى جدوى أن تخفى على . سأكتشف الأمر سريعاً.
المصور : بصراحة ، لا أفهم لماذا . . .
كيمون : حسنا . أصدقك . (يشتد ميله عليه) هل يمكنك أن تخفى سرا ؟
المصور : بالطبع . . .
كيمون : (مخفضا صوته) اليسافيت (يتلفت حوله) الأمر يتعلق باليسافيت . .
المصور : حسنا ؟ (تدخل اليسافيت) .
كيمون : (بذات الصوت الخفيض) فيما بعد ، سأقول لك . .
اليسافيت : أخيرا ! خشيت ألا تأتى .
المصور : لكننى لم أتجاوز الثامنة والنصف .

اليسافيت : أجل ، لكنني خشيت .
المصور : كيف كان ممكنا ألا أجيء ؟ اغتبطت جدا بالدعوة التى وجهتها إلى .
كيمون : كانت اليسافيت تنتظرك بصبر نافذ .
المصور : (خجلا - إلى اليسافيت) ما كنت أجرؤ على تصور أن . . . .
كيمون : تشجع ، يا صديقى ، تشجع .
المصور : إن امرأة مثلك . . .
كيمون : امرأة جميلة مثلك . . .
المصور : أجل ، قطعا ، امرأة جميلة ، سوف . . سوف تنتظرنى نافذة الصبر . . . اننى اخشع وارتعد خوفا ، على أى حال أن أخيِّب ظنكما (يلتفت إلى كيمون) أنتما الاثنان. لست معتادا على أداء الزيارات ، لأننى . . كيف أقول ذلك . . لا أُدعى كثيرا . يضجر الناس عادة من صحبتى .
كيمون : غير ممكن هذا . لابد أنك مخطىء .
المصور : ليتنى كنت مخطئا . لكن للأسف ، أصبحت متأكدا من ذلك . الإحساس الوحيد الذى أبعثه فى الآخرين هو عدم الاكتراث والضجر . (بينما يتحدث يلتفت تارة إلى كيمون وتارة إلى اليسافيت . ولكن نظراته خفيضه على الدوام) بعد دقيقتين ، أو خمس دقائق على الأكثر ، لا يكون لدى أحد الرغبة فى التحدث إلى . ينسوننى ، كما لو كنت غير موجود، وإذا جرؤت واقتربت من أحد وحادثته فإن

كلمـــاتى تتـــردى فى الخـــواء . ولاشىء ، لاشىء ، يجـعلنى قادرا على أن أسـترعى الانتـباه من جـديد . وعنـدئـــذ فإنـــنى انهض وأنسحب منصرفـا بلا عودة ، بلا عودة لأنهم بطبيعة الحال لا يدعوننى مرة أخرى.

(صمت)

المصــــور : صدقانى ، أننى فى هذه اللحــظة أعانى . يبدو لى من المؤلم ألما غير معقول أن أقدم على مثل هذا النوع من الاعتراف ، لكن من الأفضل ، على الأخص وأنا معكما ، أن تعرفا الأمر ابتداء بـدلا من أن تكتشفاه وحدكـما رويدا رويدا لحظة فى أثر لحظة . ما كنت أحتـمل هذا ، فأنتما على غاية – كـيف أعبر عن ذلك – علـى غاية من الظرف . أنتـمـا الاثنان ، وهذه الغـرفـة (ينظر حوله) هذا الدفء المستحب ، ما أن دخلت تذكرت : الدفء المستحب و . . .

كـيـــمـون : (يلمس ذراعه) استمر . . . .

المصــــور : وتملكتنى الرغبة فى أن أطلق لساقى العنان . أليس الأمر مضحكـا ؟ ها أنتم ترون . أليس كذلك ؟ بدأت أتكلم هراء . . . ثم . . . هنـاك سـبب آخـر يجـعل الناس يتحـاشوننى . . . وعلى الأخص ، فى الآونة الأخـيرة . . إلا أن هذا لا أجرؤ على أن أقـوله لكما . . . كـما أنه ليس بالأمر اللائق . أتكلم وأتكلم عن نفسى . منذ اللحظة التى دخلت فيها وأنا الذى أتكلم وحدى . (يقول فجأة لأليسابيث) هل أنت تتطايرين ، تتشاءمين؟

اليسافيت : أوه ، كلا . . . لم أعد كذلك . عندما كنت صغيرة كنت أخاف القطط السوداء . كانوا يقولون لى إنك إذا رأيت قطة سوداء تسير أمامك فهذا يعنى موتا ، أما الآن. فماعدت أعتقد في هذه الأشياء .

المصور : بالطبع ، كلا ، هذه سخافات ، كل هذا الذى يقولونه عن الرقم ١٣ ، وعن يوم الجمعة ، وعن المرور من تحت سلم . . مع ذلك هناك من يؤمن بأننى . . . بأننى أجلب نحسا . ينادوننى بالحانوتى ، لأننى أرتدى على الدوام بذلة سوداء . أليس هذا مضحكاً ؟ البعض يتشاءم من اللون الأسود . أما أنا فأحبه . كما أننى لست رشيق القوام ، ولا أستطيع أن أتصور نفسى في غير هذا الملبس . لكن ليس هذا بصحيح . إننى لا أجلب نحسا . كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ أنا رجل بسيط . كل هذا أشاعه عنى منافسون لى فى المهنة . كان يجدر أن أوقفهم عند حدهم ، إلا أننى خائف . تنقصنى الجرأة . هذه الجرأة على وجه التحديد هو ما كان يعوزنى دائما فى حياتى . عندما فتحت محل التصوير . . . .

كيمون : حدثنا قليلا عن مهنتك .

المصور : كلا . فى الحقيقة ، تجاوزت حدود اللياقة وتماديت . . أنتما طيبان للغاية إذ تنصتان إلى كل هذا الوقت . .

كيمون : يروق لنا أن نسمعك .

المصـــــور : تريدان حقا أن أحـدثكما عن مهنتى ؟ إذن ، أصـغيا . عندما فتحت محل التـصوير ، كنت أكسب قوت يومى فحـسب . كنت أمارس المهنة مـثل كل زملائى . كنت أصـور أطفـالا ، عـرسـانا حـديثى الزواج ، جنودا ، وكنت أستـخدم كخلفـية لتصـاويرى الديكورات المألوفة الزائفـة : حـدائق مـزدهرة ، مـلاهى ، أطلال أثرية ، حتى واتتنى ذات يوم الفرصة ، الفـرصة الكبيرة ، دقت بابى . دخل محلى شخص ما .

كـيـــمـون : شخص ما ؟ أى صنف هو ؟

المصـــــور : أوه ، رجل عــادى جـدا ، فى حـوالـى الأربعين من عمره، بغير ما خصـيصه مميزة فى مظهره ، وقال لى : أريد أن تصورنى صورة غير مألوفة . عرضت عليه بعض الأفكار ، تداولنا فيها ، لكنه فى النهاية رفضها كلها .

كـيـــمـون : حـدثتنى اليـسـافـيت عن بـعض الخـدع المبـتكرة التى تستخدمها .

المصـــــور : انتظر. عن هذا الأمر بـالضبط سوف أحـدثكما . كنت أقول إذن إن افكارى لـم ترق له . ومضى يطالبنى بأفكار أخرى .

كـيـــمـون : افكار أخرى .

المصـــــور : أجل ، كان يريد صورة تصوره ميتا بميتة بشعة . تداولنا فى أوضـاع مختلفـة . فضلنـا وضـعا يصـوره ضحيـة فى حادث سيارة . ماذا أقول لكمـا . بذلت جهدا كبيرا

فى ضبط المونتاج المعتاد وإتقان الرتوش ، لكن فى النهاية لقيت الصورة نجاحا كبيراً . على الأخص تلك الدماء التى لطخت الوجه ، وهاتان العينان الزجاجيتان ، واليد . . أحد اليدين قد تآكلت حتى الرسغ بينما أصابع الذراع ذاتها قد تشبثت بالتربة . . .

كيمون : ياله من أمر يثير الاهتمام !

المصور : حقا ؟ تحمس الرجل وفى اليوم التالى أرسل إلى أحد معارفه أراد أن أصوره مشنوقا .

كيمون : مشنوقاً ؟

المصور : أجل ؟ مشنوقا ، وقد تدلى لسانه . ثم أرسل إلىَّ المشنوق زبونا آخر ، وأرسل إلىَّ هذا الأخير آخر ، وحتى لا أطيل عليكما ، منذ ذلك الوقت الذى اشتهر عنى فيه أننى التقط هذا النوع من الصور ، إنهال علىَّ الزبائن فلم يعد لدى وقت حتى لطردهم . اكتظ محلى بعملاء يريدوننى أن أصورهم مشنوقين ، مخنوقين ، مطعونين ، محترقين ، مصلوبين ، لا أخفى عليكما أننى أبذل فى هذا المضمار جهدا كبيرا ، ولا أنكر أننى اخفق فى إرضاء زبائنى أحيانا ، فكثير منهم يبالغون فى طلباتهم . على سبيل المثال ، أول أمس جاءنى أحد الأمريكيين .

كيمون : عندك أمريكيون أيضاً ؟

المصور : أجل . جاءنى ذلك الأمريكى من أهويو . تصادف أن زار معتقل بوخينفالت فى ألمانيا ، لابد أنكما سمعتما عنه ،

كما شاهد فيلما تسجيليا عنه . فلم يضع وقتا . طلب منى أن أصوره وقد مات من الجوع وسوء التغذية، لكنه كان صاحب وجه صبيانى ممتلىء لم يكن بإمكانى أن أغيره بطبيعة الحال . فكانت النتيجة مدعاة للضحك، بينما صورى أنا مأساوية وليس مضحكة .

كيمون : بوخينفالت ! أضحى الأمر مثيرا للغاية !

المصور : (بصوت مرتجف) هذا هو التعبير الصحيح ! مثير حقا مبلغ إقبال الناس على أن يصوروا فى مثل هذه الأوضاع. اعتقد أن عهد الصورة العاطفية قد انقضى إلى غير رجعة. ودون أن اتباهى أقول إننى من وضع نهاية لها . أن محلى ، على الأقل الآن هو الوحيد الذى أنتج هذا النوع من الصور ، لأن لدى سر الصنعة الذى أحرص بشدة على كتمانه . لاحظا أن زبائنى لا يتعبون فى شىء أبدا . إنهم يجلسون هادئين وادعين على الكرسى ، كما لو كانوا يجلسون لاستخراج صورة لبطاقة شخصية ، أما الباقى فيجرى كله فى المعمل .

كيمون : إذن ، لابد إنك أثريت من هذه العملية .

المصور : (بحزن) كلا ، على الإطلاق . أننى اكسب ولاشك ، ولكن ليس بالقدر الذى كان يجدر أن أكسبه ، وذلك ، كى أعود إلى النقطة التى بدأت منها حديثى ، لأن الجرأة تنقصنى. لا أقوى على أن أصل بعزيمتى إلى منتهاها ، لا أجرؤ أن أصير غنيا ، لا أجرؤ أن أصبح مشهورا ،

ولا أن أبرز أو أتميز عن الآخرين . تنقصنى الجرأة دائما . ماذا قلت لكما ؟ الجرأة . أنا جبان . . . من فضلكما ، هل أستطيع أن أشرب شيئا ؟ (برهة صمت . يمسح وجهه بمنديله - ينهض كيمون ويعد له شرابا) .

اليسافيت : استثرت اهتمامى . أريدك أن تصورنى صورة من هذا القبيل . أجل ، أريد ذلك . كيمون ! فلتنزل يوما لنلتقط صورة معا .

كيمون : فكرة رائعة !

المصور : أستمحيكما عذرا ، ولكن . . .

كيمون : ولم لا ، سوف تكون صورة مدهشة . .

المصور : لكن ، من فضلكما ، اسمعانى .

كيمون : هل تمانع فى ذلك ؟

المصور : أجل ، أمانع . إنى إنسان بدورى .

كيمون : لا أفهمك . . .

المصور : هذه الصور تجعلنى أعانى . هل تعتقد أن الأمر على هذه البساطة ؟ ما أن أتعرف بإنسان أتصوره ميتا ، هيه ؟! فى النهاية ، يستحيل الأمر فكرة متسلطة . وها انتما الآن ، تطالبانى . . . وأنتما فى شرخ الشباب ، وعلى غاية من الرقة . . . أن . .

كيمون : هيا ، دعك من السخافات . . . (يروح ويجيء كما لو كان يستلهم فكرة) أقترح أن تصورنى ، صريعا على الفراش ، بينما تكون اليسافيت . . .

المصـــــور : مستحيل !
كـيــمـون : مقتولة وعارية .
المصـــــور : عارية !
كـيــمـون : أجل ، مقتولة . وملقاة على الأرض ، عارية .
المصـــــور : لن أجرؤ على ذلك ابدا ! إن جسدها . . .
كـيــمـون : ماذا ؟
المصـــــور : الجسد المصور يجب أن يكون جسدها هى . . .
كـيــمـون : وماذا فى هذا ؟ لا أعتقد أنك تستحى ؟
المصـــــور : من فضلك ، لا تصر . . . . .
كـيــمـون : حسنا ، لن أصر ، عندى فكرة أفضل . . أنا على السرير رأس بلا جسد . . ورأس اليسافيت هذا الرائع ، بشعرها الأسود الطويل . . ملقى على الأرض ، كما لو كان قد قطع بمقصلة . . .
المصـــــور : إنك تضعنى فى موقف صعب للغاية . .
كـيــمـون : لماذا ؟ (يقترب من اليسافيت ، ويرفع وجهها) ألا ترى أنها رائعة ؟
المصـــــور : بلاشك ، هى رائعة .
كـيــمـون : هل رأيت من قبل بشرة أكثر بياضا من هذه . . .
كـيــمـون : اقترب لحظة ، اقترب . . . مد يدك . . . تحسسها . . إنها ناعمة الملمس كالقطيفة . . . تحسسها ، لا تخف . . .

(يلمس المصور اليسافيت التى تنتفض واقفة . يضغط كيمون برفق على كتفيها ويدفعها إلى الجلوس من جديد) .

المصـــــور : من فضلك هل لى قدح آخر من الشراب ؟

كـيـمـون : بكل سرور . . سأشرب معك . (بينما يصب الشراب ، يتبادل المصور واليسافيت نظرات سرعان ما يسحبانها ، ويشيح كل منهما بعينيه عن الآخر) إنك تشرب كثيرا . هل أنت غير سعيد فى حياتك؟

المصـــــور : أنا ؟ يمكننى أن أقول ، كلا . . . لست سعيداً . . .

كـيـمـون : تعس أنت ؟

المصـــــور : ولا هذا . بكل تأكيد ولا هذا . . . (يجرع قدحه دفعة واحدة ، ويستجمع انفاسه) أنا فى السابعة والأربعين . . غير متزوج أكسب ما فيه الكفاية ، على الأقل ، ما يكفى مطالبى. أعيش مع شقيقاتى ، وهما أكبر منى . إحداهما لم تتزوج ، والأخرى فقدت زوجها . أصيب فى حادث أيام الاحتلال . تفهمان ما أقصد . . . نقيم فى بيت خلوى . . كل شىء على ما يرام هناك . . هدوء . . لدينا حديقة جميلة أتعهدها بالرعاية . أزرع البانسيه وعباد الشمس ، وزهورا من أصناف أخرى متنوعة . زهرة المائة ورقة ، الفانجريانا ، الزهرة الصفراء ، والورد الوحشى . . أصحو فى الصباح مبكرا ، ساعة قبل شقيقتى . أنزل إلى الحديقة ، اجلس فى مقعدى ، اشرب القهوة ، وأدخن سيجارتى الوحيدة طول اليوم . هذا شىء يعنى الكثير بالنسبة لى . فى تلك اللحظات ، أجل ، أحس أننى سعيد (صمت) .

كـيـــمـون : اليسافيت ، أعتقد أنه يجب أن تجهزى شيئا للعشاء.

(تخرج اليسافيت)

المصـــــور : إلا أننى . . .

كـيـــمـون : (يقاطعه) اسمع ، صرفتها حتى أختلى بك . أريد أن أطلب منك طلبا .

المصـــــور : آه ، أجل ، كنت قد بدأت تحدثنى عن . . .

كـيـــمـون : (بصوت خفيض) تماما الأمر يتعلق باليسافيت . هل يمكنك أن تسدى إلى خدمة ؟

المصـــــور : بكل سرور !

كـيـــمـون : (يلقى نظرة نحو الباب) أتحدث إليك كرجل يتحدث إلى رجل .

المصـــــور : بكل تأكيد !

(يقترب منه منكبا ، بصوت خفيض وحازم)

كـيـــمـون : أعطها قليلا من السعادة . . .

المصـــــور : (وقد بوغت) اعطيها . . ماذا قلت ؟!

كـيـــمـون : (يزداد اقترابا منه) اعتقد أنها واقعة فى غرامك .

المصـــــور : أنا ؟ كيف يمكن هذا ؟

كـيـــمـون : (ماضيا) ألم تلاحظ أنها أرتعدت عندما لمستها ؟

المصـــــور : كلا . لا أصدقك .

كـيـــمـون : انتفضت واقفة ، وأرادت أن تولى هاربة . لكننى لم أتركها . تذكر ذلك !

المصـــــور : أجل ، هذا صحيح . أذكره .

كيمون : ها أنت بنفسك تسلم .

المصور : (مرتعشا) إسمع : أنا فى السابعة والأربعين ، دميم الخلقة . أعرف ذلك جيدا . تظن أننى لا أعرف نفسى؟ يداى . انظر إلى يدى المريضتين ، يتصبب العرق منهما، وأظافرهما متآكلة . هل يمكن أن أروق لامرأة وأنا بهاتين اليدين ؟ كلا ، أننى لا أصدقك . . إنك بمزاحك هذا تضمر لى شرا .

كيمون : (بعناء) ألفت نظرك . ليس لدى وقت أضيعه . إنها لن تلبث أن تعود أعطها قليلا من السعادة . إنها تعسة ، تتعذب . . .

المصور : تتعذب ؟ ما الذى يعذبها ؟

كيمون : أقول لك أنها تعسة . . بالليل تتنابها الكوابيس ، تصرخ فى نومها ، وبالنهار لا تستطيع أن تبقى فى البيت لحظة. تخرج ، وتسير وتسير بلا توقف . تهيم بلا هدف فى أرجاء المدينة ، لأنها تعتقد أنها المدينة التى ولدت فيها ، بينما لم تطأ قدمها هذه المدينة من قبل .

المصور : ماذا تقول ؟

كيمون : تعذبها أفكار مستحوذة عليها . تعتقد أن كل من يحبها يحكم عليه بالإعدام ، ويموت . يعزل ويرمى بالرصاص فى معسكر التنفيذ . إنها لا تدعنى ادخل غرفتها . تخشى واهمة أن أزيح الغطاء عن سريرها ، وأدس فيه صراصير ميتة . إنها عجوز تعسة . .

المصـــــور : عجوز ؟ أيه ، كلا ، إنهـا ليست عجوزا ، لا يمكن أن يقال عنها ذلك ؟

كـيـــمـون : كم تعتقد عمرها ؟

المصـــــور : إنها لا تكاد تبلغ الثلاثين . ماذا أقول ؟ إنها فى الخامسة والعشرين ، على الأكثر .

كـيـــمـون : خـداع ! كل شىء خـداع . ألا تلاحظ الإضـاءة ؟ إننا نحيا فى شبه ظلام دائم ، بسببها .

المصـــــور : هذا كذب ! اليسافيت أصبى من ذلك بكثير . . .

كـيـــمـون : بشرتهـا ، هذه البشرة الرائعة ، لوكنت تعـرف ، كيف تحافظ عليهـا . . . بدهانات بشعة مخربة تنفـذ إلى دمها وتسمـمها رويدا رويدا . . وشـعرها ، شعـرها الأسود الجميل . . .

المصـــــور : كلا ، لا أريد ! لن أسمع مزيدا . . .

كـيـــمـون : ليس هذا شعرها . شعر اليسافيت أبيض وقد تساقط عن أجزاء كثيرة من الرأس .

المصـــــور : يا للفظاعة ! . .

كـيـــمـون : والأدهى من ذلك . اسمع ما هو أدهى وأمر . لما كانت تخـشى أن أهـجـرها تريد أن تفـرض علـى فكرة أننى مصاب بعمى بطىء ، وأفقد البصر رويدا رويدا . .

المصـــــور : يا إلهى ! يا إلهى ! . .

كـيـــمـون : حذار أنها قادمة . لاتبد أنك قد عرفت شيئا . (يهرب من الباب الأيسر بينما تدخل اليسافيت) .

اليسافيت : معذرة . تركتك وحدك . أعددت المائدة . ثم خرجت قليلاً إلى الشرفة . . يحلو لى أن أخرج إلى الشرفة فى مثل هذا الوقت، وأُسَرِّى عن نفسى بمتابعة حركة المرور. شعور غريب ينتاب المرء عندما يعود إلى الأماكن التى عاش فيها سنوات من قبل . يخيل إليه أن ثمة شيئًا قد تغير . ثم لا يلبث أن يخيل إليه أيضًا أن ما من شيء قد تبدل . يشبه الأمر الأحلام قليلا . هاك مثلا على ذلك ، دار السينما هذه ، خيل إلى أنها كانت على الدوام قائمة هنا ، بينما اكتشفت أمس فقط أنه لم يمض على بنائها شهر واحد . عندئذ تذكرت أن هذا العقار كانت تشغله من قبل مدرسة . . للحظة ، عاد إلىّ مخيلتى الشارع كما كان آنذاك على وجه التحديد . شريط الترام ، وعلى مبعدة مكتبة ، ثم فجأة لا شيء ، لا ترام ، ولا مكتبة ، بل عمارات جديدة ، ودار السينما . وهذا الميدان تتوسطه النافورة ومن حوله حانات ودور للهو . . إنى متأكدة من أنها لم يكن لها وجود فى ذلك الزمان . . . ومع ذلك ، تذكرنى النافورة بشيء ما . لكن ما هذا الشيء ؟ سأجده فى النهاية ، غير ممكن ألا أجده . . . (فى هذه الأثناء التى تمضى اليسافيت فى حديثها ، يكون المصور قد اقترب منها . يمد يده ببطء نحوها كما لو كان يريد أن يلمسها . ثم لا يلبث أن يسحب يده فجأة) .

المصور : كلا ، كلا ! مستحيل ! لا أصدق !

اليسافيت : (متعبة) لا تصدق ؟ ما الذى لا تصدقه ؟ أوه ، ذلك الذى قاله لك عنى ، بالطبع لا تصدق . . .

المصور : كنت تعرفين إذن ، ما كان سوف يقوله لى ؟

اليسافيت : كنت أعرفه . هكذا يتكلم عنى كيمون ، دائما ، إلى كل الناس . انظر إلىَّ . انظر إلىَّ جيدا (ترفع المصباح وتقربه من وجهها) كلا أننى لا أخاف الضوء .

المصور : يا لك من امرأة جميلة ! . .

اليسافيت : قال لك أن العتمة تروق لى ، وأننى أحب الضوء الخافت ، اليس كذلك ؟ قال لك أن شعرى هذا مستعار؟ خذه بين يديك ، إذن ، ها هو ، ها هو ، خذه . . (تحل جدائلها وتجذبها) .

المصور : كفى ! أصدقك . . لكن ، لماذا يفعل ذلك ؟

اليسافيت : لا أدرى . يروق له أن يذمنى . أعتقد أنها المتعة الوحيدة التى ينالها منى . شىء واحد مما قاله لك صدق فيه ، وهو أننى تعسة . . إننى فى الحق تعسة جدا . .

المصور : اليسافيت ، وحق السماء ، لا تبكى . . لا أحتمل أن أراك تبكين .

اليسافيت : أحال حياتى إلى جحيم ، وفى أعماقه لا يعيرنى التفاتا. هل تفهم ذلك ؟ هل يمكن لأحد أن يتصور كم يكرهنى؟ لكن ، كلا ، إنه ولا حتى يكْرهنى. إنه لا يكترث بى. أننى غير موجودة بالنسبة له . وإذا كان يعذبنى ، فكما لو كان يعذب قطة أو فأراً .

المصـــور : لا تبكى ، أتوسل إليك !

اليسافيت : يقـول إننى أضايقـه ، ولهـذا اضطر إلى التغـيب طوال النهار عن البيت ، وبالليل يغلق على نفسه غرفته ويحرم على دخولها .

المصـــور : هل يفعل ذلك بك ؟

اليسافيت : إنه يتجاهلنى . يحـتقر الحياة التى عشتـها حتى اليوم ، الفساتين التى ألبسهـا ، المدينة التى ولدت فيها ، الناس الذين عرفتهم . . .

المصـــور : اليسافيت ، اصغى إلىَّ ! . . .

اليسافيت : وعندمـا ينتابه الـضجـر ، يتفـتق ذهنه عن العـديد من الأفعال التى تبعث فى قلبى الذعر . يلبس فعلاً مطاطيا ويتسلل خلفى خلسة .

المصـــور : إصغى إلىَّ ، يجب أن أقول لك شيئا . . .

اليسافيت : وعن مـرض عينيـه ، مـاذا قال لك ؟ أننى أخـشى أنه سيصاب بالعمى ؟ أيه ، ألم يقل لك ذلك ؟

المصـــور : أجل ، قال لى هذا . . .

اليسافيت : ومع ذلك ، إنها فكرته هو أن يتظاهر بضـعف البصر ، كى يبقى طول الوقت فى الـبيت معقـود الذراعين . أما أنا فأدعى أننى أصدقه حتى لا أضايقه .

المصـــور : الذى لا أفـهـمه هو كـيف تواصلـين البقـاء إلى جـوار شخص مثله .

اليسافيت : أنى وحيدة ، لم يعد لى أحد . لا أعرف أين اذهب .

المصـــور : كيف يمكن أن تقولي هذا ، بينما . . .
اليسافيت : لا أحد يريدنى . طردنى الجميع .
المصـــور : ها أنا أمامك . .
اليسافيت : أعتقد أنك تريد أن تقول لى شيئا .
المصـــور : أجل ، سأقوله . مـاعدت أحتمل الكتمـان . . أنا متيم بحبك . من أول لحظة رأيتك فيها ! . . .
اليسافيت : اسكت . ربما يسمعك .
المصـــور : فليسمعنى . لا يهمنى . تعالى ، نرحل سويا .
اليسافيت : لا يمكننى أن أهجره .
المصـــور : لماذا ؟ لماذا ؟ مادام لا يحبك ، لا يحـتاج إليك ، بينما أنا فى مسيس الحـاجة إليك . أنا بدورى تعس مثلك . فقط ، لو كنت تعرفين . . لو كنت تعـرفين ماذا حدث لى منذ أمس .
اليسافيت : ماذا حدث لك ؟
المصـــور : لم يعد لى بيت . ولاعاد لى شىء ولا أحد فى الدنيا . شقيقتـاى ، كلا ، الأفضل أن أروى لك الأمر بالترتيب . . منذ قليل ، حدثتك عن حديقتى . أتذكرين ؟
اليسافيت : حديقة الورد ؟ أذكر ذلك . كنت تقول إن لديك العديد من أنواع الزهور .
المصـــور : أجل . . .
اليسافيت : زهرة المائة ورقة ، زهرة الفانجـزيانا ، الزهرة الصفراء ، الورد الوحشى .

المصـــور : أجل .

اليسافيت : وأنك كنت تستيقظ مبكرا ساعة قبل الآخرين فى الصباح، وتشرب قهوتك . . .

المصـــور : أجل ، أجل ، أجل . . .

اليسافيت : إنك كنت تشعر بالسعادة ؟

المصـــور : ما عاد لشجيرات الورد وجود !

اليسافيت : ما عاد لها وجود ؟

المصـــور : اقتلعتها شقيقتاى ، ليلة أمس !

اليسافيت : شقيقتاك ؟

المصـــور : أجل . إنها قصة محزنة . تعتقد شقيقتاى أن فى الحديقة ، فى وسطها تماماً ، دفن أبوانا ، وأن شجيرات الورد تتغذى من رفاتهما . أن العزلة ، كما ترين ، العزلة . . . تجلب إلى الذهن أفكارا شاذة . وقد عاشت شقيقتاى دائما فى عزلة مريرة . كانا يكرهانى من أجل ذلك . كانا يسبانى . أحالا حياتى إلى جحيم . كثيرا ما كنت أعود من عملى فلا أجد طعاما ، كانا يتركانى جائعا . لكن ما كنت اتصور أنهما سيصلان إلى هذا الحد . إلى أن كانت ليلة أمس ، وكنت على وشك أن اهجع إلى فراشى ، سمعت جلبة فجريت إلى النافذة . ورأيت مشهدا لن أنساه طول حياتى . . .

اليسافيت : لابد أنه كان فظيعا !

المصـــــور : (مرتعدا) كانت أختاى بقميص النوم الأبيض وقـد تهدل شعرهما الأبيض على الظهر ، يقـتلعان شجيرات الورد ويدوسانهـا بحقد شـديد . اندفعت إليهـما أمنعهـما . فرفعت صـغراهما ، الجاروف لتـضربنى . وليت هاربا كالمجنون . جريت فى الشوارع ، وقد قطعت انفاسى ، إلى أن وجدت نفسى فى الميناء . جلست على الرصيف وبكيت . لا أعرف كم من الوقت بكيت ، فأدخل ذلك السكينة إلى قلبى قليلا . بدأت شمـس الصباح تشرق، وأخذت طلائع العـمال تفد . عندئذ نهـضت ، وعدت إلى دكانى ، وفتـحته مثل كل يوم ، لكن عـقلى ماعاد يعمل . كان قد توقف .

اليسافـيت : (تربت على جبينه ملاطفة) .

المصـــــور : اليـسافـيت ، لو لم تجيـئى أنت ، وتقفين هناك أمـامى بوجهك الـوضاء ، وتوجهين إلى الدعـوة لزيارتك هذا المساء ، ما كنت أعرف مـاذا سيحدث لى (تواصل اليسافيت ملاطفتـه مواسية ، فتربت على وجهه . فـجأة يتعانقـان ويتبادلان قبلة عـاطفية متأججة . يدخل كيمون) .

كـيـمـون : شىء جمـيل . اليسافـيت ! اشرحى له الآن مـا حدث بالضبط ، (برهة صمت - يتبادلون النظرات) ماذا ؟ ألا تتكلمين ؟ لعلك تفضلين أن أتولى أنا الشرح ، هذه الليلة ؟ حسنا جدا . أنا واليسـافيت لا نعرف كيف نمضى أمـسياتنا ، لهـذا لدينا على الدوام زوار مدعـوون للعشـاء . أناس

ظرفاء تتعرف إليهم اليسافيت فى الشوارع ، والمحلات ، والأوتوبيسات . البعض يذكرها بمعارف قدامى مما يملأها شجنا . ندعـهم يحكون لنا عن مشاكلهم وأحـلامهم ، وإخفاقاتهم . نجعلهم يحسون كما لو كانوا فى بيوتهم . نقـدم لهم دجاجـا وجنبـريا بالمايونيـز ، واسبـرجس ، وشمبـانيا ، وتعاملهم اليسافـيت والحق يقال بمودة بالغة ولكن تأتى اللحظة التى يـجب أن نبقى فـيها وحـدنا ، وللضيافة حدودها . الوقت مر . طابت ليلتك ! (يحملق فيه المصور دون أن يحرك ساكنا) ألا تفهم؟ أقـول لك بكل وضوح أن زيارتك انتهت . لا تلجئنى إلى أن ألقى بك خارجا .

اليسافيت : (بصوت خائر) طابت ليلتك .

المصـــــور : كيف ؟ وأنت أيضـاً ؟ هذا فظيع ! فظيع ! (ينظر إليهما كما لو كان يرى أمامه وحشين) إذن ، فقد اتيتما بى إلى هنا لتهزآ بى ؟ لتسخرا منى وتتسليا ؟ هذا مـا كانت تهدف إليه دعوتكما ؟ كى تنفضـا عن أمسـيتكما الضـجر على حـسابى؟ على حسابى أنا الذى لم أعرف سعادة فى حياتى ؟

اليسافـيت : من فضلك ، انصرف . . . .

المصـــــور : (وقد صعدت غصة إلى حلقة) وأنت ؟ ألا تقـولين شيئا ، أنت ؟ موافقة أنت ؟ تتركينى طوال هذا الوقت افتح لك قلبى . بحت من أجلك بأسرار شقيقتى وبيتى . شجيرات الورد لم يعد لها وجود . لم يعد لشىء وجود ! قلت لك كل شىء ، كل شىء ! أوه ، هذا فظيع ، فظيع .

(يندفع متخبطا ويهم بالانصراف)

اليسافيت : كلا ، لا ترحل !

(برهة صمت)

كيمون : ماذا حدث ، يا حبيبتى ؟

اليسافيت : ماعدت أحتمل أكثر من ذلك . ماعدت أحتمل .. قلت لك. ألم أقل أن الليلة سوف تكون الأخيرة ؟ (إلى المصور) خذنى معك . لا تتركنى هنا ، بعد الآن.

كيمون : اليسافيت ، هل جننت ؟

اليسافيت : لا أريد أن أبقى لحظة فى هذا البيت . انتهى كل شيء.. سأذهب معه .. إنه يحس بى . يحبنى . نحن من المدينة ذاتها . . .

كيمون : دعك من السخافات . أنت لم تولدى هنا .

اليسافيت : يعرفنى وأعرفه . إنى راحلة . لا أطيق المزيد . لا أطيق.

كيمون : تجلدى ، إذن . سأفعل بدورى ما بقى لى (يندفع خارجا) .

اليسافيت : (ثائرة) دعك من التهديدات ! ماعدت تخيفنى ، سامع ؟ لا تستطيع إخافتى ! (تسمع طلقة نارية من الداخل . تطلق اليسافيت صرخة . تمسك خديها بكفيها) الطلق النارى! قال ونفذ ما قال ! الطلق النارى !

(تندفع إلى الداخل ، بينما يحاول المصور أن يمنعها) .

المصور : لا ! لا تذهبى !

(تخرج اليسافيت من اليمين . ثم تعود بعد بضع ثوان ، وقد اتخذت هيئة من يسير فى نومه) .

اليسافيت : قتل نفسه ! قتل نفسه بسببى . كان يقول لى ذلك دائما، ولم أكن أصدقه قال لى «لو فقدتك ، سينتهى كل شىء بطلق نارى» .

المصور : ربما كان مصابا فحسب .

اليسافيت : اخترقت الرصاصة قلبه . . . (يهم المصور بالدخول وقد اسقط فى يده ، لكن تند من اليسافيت صرخة) لا ! لا تدخل ! حذار أن تضع قدمك هناك !

المصور : اليسافيت ، ليس ما حدث ذنبك . لاتقع المسئولية عليك .

اليسافيت : (وقد شردت نظرتها) دماؤه سالت من فمه . دماؤه . . .

المصور : أقول لك ، ليس ما حدث ذنبك . هيا ، نخطر الشرطة . . وبعد ذلك ، سنرحل .

اليسافيت : ماذا ؟ ماذا قلت ؟

المصور : ستأتين معى . لن أتركك وحدك . أليس هذا ما كنت تريدين ؟

اليسافيت : (كما لو كانت لا تفهم) سآتى معك ؟

المصور : ستنسين كل شىء . . سترين . . .

اليسافيت : سأتى معك ؟ معك أنت ؟ معك أنت ؟ (تتبدل حالها فجأة . وتتفجر فيه ثائرة) اغرب عن وجهى ، أيها القذر المنفر !

المصور : ماذا ؟

اليسافيت : (ماضية) جرؤت أن تصدق شيئا مثل هذا ؟ أنا أرحل معك أنت ؟ أنا وأنت ؟! أنت دميم قبيح . ألم يقل لك

ذلك أحد قط ؟ أنت عجوز ، ألم يقل لك ذلك أحد قط ؟ ، وذلك الرجل المسجى هناك كان شابا ووسيما ! أسنانك نخر فيها السوس . يداك تثيران تقززى . (تهجم عليه) امش ! عد إلى اختيك المجنونتين ، عد إلى بيتك الكريه ، ولا تخط منه خارجا ! هذا ما تستحق أنت وأمثالك ، أنتم يا من تأتون هنا وتفسدون علينا هدؤنا . أخرج ! أخرج ! أخرج !

(يتراجع المصور مرتعبا ، ويخرج من ناحية اليسار . تبقى اليسافيت وحدها . تبدو شاحبة مجهدة . تقترب من المرآة . تتفحص وجهها بآلية . ترتب شعرها . ثم تأتى إلى الباب فى ناحية اليمين وتقف فى مواجهة الجمهور .)

اليسافيت : (بصوت خال من كل عاطفة) تستطيع أن تخرج الآن .

كيمون : (يدخل) انصرف ؟

اليسافيت : (بذات الصوت) أجل .

كيمون : مثل الآخرين ؟

اليسافيت : أجل .

كيمون : هل لقيت صعوبة فى طرده ؟

(تذهب اليسافيت ، وتجلس فى مقعد يواجه الجمهور) .

اليسافيت : كلا . انصرف دون أن يقول كلمة .

كيمون : يداك ترتعشان ، وأنت مهدمة . يجب أن يتوقف كل هذا يوما ما .

اليسافيت : (كرجع الصدى) أنت محق . سيتوقف .

(برهة صمت)

كيمون : قلت لك ، لا أريد ضيوفا يتدخلون فى أمورنا .

اليسافيت : قلت لى ذلك .

كيمون : لسنا بحاجة إليهم .

اليسافيت : كلا .

كيمون : سوف تدخلين على ذات مرة وتجدين رصاصة حقيقية قد استقرت فى قلبى .

اليسافيت : (بلهجة ناعمة) يا حبيبى . لا توجد رصاصات حقيقية . تعرف ذلك .

كيمون : تقولين ذلك ، وتبدين حزينة .

اليسافيت : لست حزينة .

كيمون : غدا ، سنجمع أمتعتنا ، وسنرحل .

اليسافيت : (كرجع الصدى) سنرحل .

كيمون : عرفت الآن خطأك ؟ هـذه المدن تتشابه . اختلط عليك الأمر . . .

اليسافيت : أجل ، تتشابه . اختلط على الأمر . . .

كيمون : تسلمين بأنك لم يسبق لك المجىء إلى هنا ؟

اليسافيت : (بذات الصوت السابق) أسلم .

كيمون : مائدة العشاء جاهزة . هل أنتظرك ؟

اليسافيت : انتظرنى .

(يخرج كيمون من جهة اليمين . تبقى اليسافيت بضع لحظات بلا حراك . ثم تنهض . ترتب بعض الأشياء شاردة اللب . تجىء إلى الشباك وتتأهب لإسدال الستائر . تطل منه قليلا كما لو كان ثمة ما استرعى انتباهها) .

اليسافيت : المدينة ! (تطلق صرخة) المدينة ! المدينة تحترق ! (تولول) تحترق !

ستار